

المكتبة أسلوب حياة: معايير جديدة لسلوكيات النشء في المكتبة، روسيا

Arabic Translation of the Original Paper: *The library as a lifestyle - new standards of young peoples' library behaviour*

Irina Mikhnova

مُدير، مكتبة روسيا للنشء، موسكو، روسيا



Copyright © 2013 by **Irina Mikhnova**. This work is made available under the terms of the Creative Commons Attribution 3.0 Unported License:

<http://creativecommons.org/licenses/by/3.0/>

مُلخص البحث:

لكل بلد معاييرها ومواصفاتها الخاصة التي تُنظم سلوك النشء في الكتبة العامة، والتي تعتمد خاصةً على فلسفة المكتبة تجاه مُرتاديها الصغار.

لن تجد على الأغلّب "مكان للشباب" في مكتبة روسية، بينما يشيع هذا المبدأ في الولايات المُتحدة الأمريكية بل ورائج حول العالم. ولكن تُعد روسيا الدولة الوحيدة تقريباً التي تملك شبكة إقليمية لمكتبات النشء المُتخصصة، والتي تعمل منذ أكثر من 40 عاماً. إن مكتبة روسيا للنشء مركز منهجي لكل المكتبات العامة التي تتعامل مع النشء في روسيا.

تميل الصورة التي يألّفها النشء اليوم للمكتبة الروسية إلى الفقر: إنها مكتبة مُقسمة بوضوح إلى منطقتين، مكتبة الإعارة ومنطقة القراءة، حيث 30% فقط من المُقتنيات مفتوحة للتداول الحر وأكثرها غير حديثة وندراً ما تجد بينها كتباً جديدة، حيث يُمكنك استخدام الإنترنت ولكن ليس الواي فاي أو الوصول إلى المكتبات الرقمية عن بُعد حيث يسمع المُستخدم "لا، لا يُمكنك القيام بذلك" أكثر من "نعم، بكل تأكيد".

يستكشف هذا العرض التقديمي كيفية تأثير تغيير المكتبة على تغيير سلوك مُستخدميها من النشء، مُتخذةً مكتبة روسيا للنشء التي تم مؤخراً تحديثها وتطويرها مثالاً على ذلك.

الكلمات الرئيسية: النشء، سلوكيات المكتبة.

المكتبة أسلوب حياة: معايير جديدة لسلوكيات النشء في المكتبة، روسيا:

لكل بلد معاييرها ومواصفاتها الخاصة والتي تُنظم سلوك النشء في المساحات العامة ومنها المكتبات. نعلم جميعاً أن سلوك النشء يتغير في البيئة الخارجية. ويُمكن أن تُصبح هذه التغيرات السلوكية قواعد مقولة بل أحياناً تُشكل معايير جديدة، فيبدأ الجميع في اتباعها.

حاولنا في هذا البحث تحليل تغيير سلوك النشء في المكتبة في الثلاث أو أربع سنوات الأخيرة، والذي لاحظناه في مكتبة روسيا للنشء، وهي المكتبة الفيدرالية المُصممة للشباب بين عمر الرابعة عشرة والثلاثين. ليس من المفروض على مكتبة روسيا للنشء التعامل مع المُستخدمين الصغار فحسب بل إنها المركز المعلوماتي والمُنسق لكل المكتبات العامة التي تعمل مع فئة النشء على مستوى روسيا. تملك المكتبة مجموعة مُقتنيات من 9000 وحدة مطبوعة والإلكترونية ومن الوسائط المُتعددة وهناك نظام متكامل لخدمة المُستخدمين أنفسهم ذاتياً قائم على تكنولوجيا ترددات الراديو المُحددة للهوية (RFID) والأماكن مُصممة بالشكل الذي يحبه المُستخدمون الصغار،

وهناك 20 ناديا ومجموعة إبداعية في المكتبة. بدءاً من نادي المجالات الهزلية وصولاً إلى دائرة مُحبي اللغة اليونانية القديمة. تُنظم المكتبة الكثير من الأنشطة مثل دورات الماجستير والدراسات والمعارض الفنية والألعاب إلى آخره.

يجب ملاحظة أن المكتبات الروسية اعتادت على تخصيص "مساحة للشباب" بصورة مُختلفة عن التي يتبعها زملاؤنا في البلاد الأخرى. لن تجد غالباً مساحة مُحددة للشباب في مكتبة روسية، بينما ينتشر وجودها في الولايات المتحدة الأمريكية وحول العالم. ولكن تُعد روسيا الدولة الحيدة تقريباً التي تملك شبكة إقليمية لمكتبات النشء المُتخصصة، والتي تعمل منذ أكثر من 45 عام. نحاول جاهدين في السنوات الأخيرة التعريف بفكرة تخصيص منطقة للشباب في مكتبات روسيا العامة.

يُمكننا اليوم القول بأن سلوك مُستخدمينا يوازي شعار منطقة النشء في إحدى المكتبات الأمريكية "احترم نفسك والآخرين واحترم المكتبة"، ولكنه لم يكن كذلك على الدوام.

مكان مُريح:

كان مُعظم زوارنا في البداية من طلاب المدارس الثانوية والكبار من النشء ممن يعيشون بالقرب من المكتبة. وقد علمنا منذ ذلك الحين على تجديد مُقتنيات المكتبة ويسرنا إمكانية الوصول إليها؛ لذا فنرى اليوم طلاب الجامعة يحلون محل طلاب المرحلة الثانوية، والذين يجدون لدينا بعض المواد غير المتوفرة في مكتبة الكلية (والتي يتبادلون إرسالها عبر الإنترنت) كما يحبون بيئة العمل عندنا. لا يشعر الكبار دائماً بالراحة في الأماكن المُصممة للشباب؛ لذا يحل محلهم الشباب بين سن الثلاثين والخامسة والثلاثين.

يجب مُستخدمونا عدم حاجتهم لتخمين قواعد المكتبة سواءً كان عليهم التزام الصمت أو بإمكانهم التحدث بحرية. نجد المكتبة مُقسمة بوضوح في المدخل إلى قسمين: منطقة "صامتة" على الجانب الأيسر وهي مُخصصة للعمل الجاد وبه مواد معلوماتية، أما الجانب الأيمن فهو مكان "الترفيه" حيث يُمكنك أن تجد أيضاً قاعات للاطلاع مُرتبة بصورة أكثر راحةً وبها مقهى ومجلات ترفيهية وغرفة للأطفال ومنصة وشاشة تلفزيون وغرفة للكتب النادرة وغرفة للعمل في مجموعات (يُمكنهم العمل بصوت عالٍ). لا توجد قيود مكتوبة ولكن قواعد يعلمها الجميع ويحترمها.

وبالرغم من أن باستطاعتهم استعارة كل مُقتنياتنا إلا أنهم يفضلون البقاء في المكتبة، وليس للدراسة فحسب بل نرى النشء عادةً يقرأون الكلاسيكيات لكتاب كشكسبير وماركيز ورمارك وتولستوي ودوستويفسكي وشيكوف... وغيرهم يقرأونها في المكتبة ليس لأنهم لا يستطيعون استعارتها (إنها ضمن المجموعة التي يُمكنهم أخذها إلى المنزل)، ولكنهم يشعرون أن المكتبة هي المكان الأفضل والأكثر راحة للقراءة.

بأخذ 70% من النشء أجهزتهم الشخصية معهم (مثل: الحاسوب المحمول والقارئ الإلكتروني والآي باد والآي فون) إلى المكتبة وهو أمر طبيعي بالنسبة لهم ولكنها ظاهرة جديدة بالنسبة للكبار. إنهم يتبادلون قراءة الكتب والردشة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

أحياناً يقضون ساعة مثلاً على مكتب الحاسب في انتظار من يحبون أو يحتمون بالمكتبة من الأمطار.

فلتُشعر بحريتك ولكن احترم الآخرين:

عندما وضعنا المقاعد المبطنة أخذ مُستخدمينا الصغار يسألونا "هل بإمكانني فعلاً الجلوس عليها؟"؛ لأنهم اعتادوا أن تجلس الناس في المكتبة على كرسي وتعمل على طاولات، ولكن بعد فترة بسيطة يجلسون على تلك المقاعد على الأرض تقريباً وبين الكتب.

ولكنهم مازالوا يحترمون الآخرين: يدخلون إلى حجيرة الهاتف للتحدث في التلفون، يتحدثون بصوت عالٍ ولكن خلف الأبواب المُغلقة، لا يضعون أذنيهم أبداً على المقاعد أو الطاولات (بينما رأينا العكس في مكتبات بعض الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية) دون تنبيه أو تحذير من أحد لأن العادات الروسية ليست كذلك.

لا يحتاج الكبار والصغار كلاهما إلى التذكرة بالألّا يخلعوا أذنيهم عند الدخول إلى غرفة الأطفال لأن بها سجادة (مع وجود أغطية أذنية للكبار أيضاً). لذا؛ عندما نرى أية أذنية خلف هذه الغرفة نعلم أن أحداً بالداخل.

يحبون مشاهدة الأفلام أو لعب الموسيقى مع أصدقائه، ولكنهم لا يرفعون الصوت أكثر من اللازم. لا يباليون بترك معاطفهم في الغرفة المُخصصة لذلك لأن ذلك أكثر راحةً وأدباً.

مُستقل قدر الإمكان:

حلموا بالاستقلالية وحصلوا عليها الآن. لقد جعلنا بإمكانهم استخدام نظام الخدمة الذاتية فيستعيرون ويُعيدون الكتب بأنفسهم. يُمكنهم أيضاً نسخ أو ملء استمارة طلب كتاب وبالطبع بإمكانهم البحث بين رفوف الكتب. يُحركون بين الحين والآخر المقاعد والكراسي والطاولات الصغيرة من قاعة لأخرى حيث يحتاجونها أكثر.

لقد لاحظنا أن كثيراً ممن يتأخرون في رد الكتب يُفضلون استخدام حجيبة رد الكتب أوتوماتيكياً الموجودة عند واجهة المكتبة؛ فيتجنبوا نظرات اللوم من المكتبيين.

وحدهم في المكتبة:

يشعرون بالراحة لاستطاعتهم عمل البروفات في غرف ذات حوائط زجاجية، دون الشعور بحرَج. لا يترددون أبداً في قراءة كتاب في استقلالية تامة أو استخدام الحاسوب المحمول على المسرح؛ بل وأحياناً يغفون أثناء ممارسة أنشطتهم هذه. يُرسلون تغريدات عبر تويتر لكل أصحابهم بمجرد دخولهم على الإنترنت بكل ما يفعلونه في تلك اللحظة داخل المكتبة، وبالطبع يضعون صورهم فيها. أضحي أن يكونوا وحدهم بين الناس أمراً طبيعياً بالنسبة لهم.

عقلان أفضل من واحد:

كثيراً ما يأتي النشء في ثنائيات تبحث عن مكان مُلائم؛ للجلوس لفترة طويلة (يحتاجون مكاناً للانعزال عن الآخرين). يحبون العمل الجماعي أثناء كتابة بحث التخرج أو غيره من الأبحاث، ويتجمعون بجانب السبورة؛ لرسم الإيضاحات ومناقشة النقاط اللازمة. يأتون في نفس الميعاد ويجلسون في نفس الأماكن. وقد لاحظنا مؤخراً وجود بعض المعلمين الصغار يُدرسون طلابهم الأكثر صغراً منهم.

التواصل:

إن النشء أكثر هدوءاً من الكبار، ولكنهم أكثر حساسيةً فيما يتعلق بخصوصيتهم واستقلاليتهم. كان المُستخدمين الصغار يحاولون في الماضي تجنب الحاح المكتبيين على مساعدتهم، وكان المكتبيون في ذلك الوقت على ثقة تامة أن قيادة الصغار ليس فقط حقاً لهم بل واجباً عليهم أيضاً. يعرض مكتبي اليوم مُساعدته على الشخص الذي يرى أنه يحتاجها بالفعل، ونرى الآن الزوار يملؤون الاستطلاعات ويجيبون على أسئلة غيرهم ويسألون المُستخدمين الآخرين عن ما يُمكن قراءته في تفاعل رائع. وما أن كف المكتبيون عن فرض مُساعدتهم حتى أصبح المُستخدمون يتحدثون إليهم كونهم مُساوئين معهم.

فلتشرع بالأمان:

يجب أن يعلم النشء أن بإمكانهم الشعور بالأمان في المكتبة. يحتاجون أن يعرفوا أنهم ومُتعلقاتهم ليسوا عُرضة لأي أذى في هذا المكان. يبدو هذا اليقين أحياناً أميل إلى الجنون، ولكن من المُهم في حال حدوث أي حالة أن يتحمل النشء أيضاً بعض المسؤولية وألا تهتز ثقتهم في المكتبة.

يُمكن دائماً أن تُصبح الأفكار قديمة جديدة:

كثيراً ما يُعجب النشء بالأشياء التي كانت مُتداولة في السابق. يحبون الاستماع إلى الأغاني في الفترة بين الخمسينيات والثمانينيات أثناء قراءة أحد الكتب. يحبون الجلوس في مكان يتمتع بالخصوصية يستمعون فيه إلى الراديو أو قائد يُلقبها كبار الشعراء. بالطبع يُمكنهم أن يجدوا كل ذلك في صورة كتب صوتية ولكنهم يحبون حركة اسطوانات التسجيل. يذهبون لواجهة عرض الكتب النادرة. ولكنهم لا يريدون رؤية هذه الكتب فحسب بل لمس غلافها وتصفحها وأن يشتموا فيها عقب الماضي.

الأكثر امتداداً:

في المُعتاد، على المكتبة استخدام كل ما لديها من طاقة للحصول على تعليقات وتغذية راجعة من مُستخدميها، من خلال: المُقابلات الشخصية واستطلاعات الرأي والعرض الموجز للصحف.. الخ، بينما يُسهل النشء المهمة حيث أنهم مُستخدمون دائمون لشبكات التواصل الاجتماعي التي يُرسلون من خلالها كل أفكارهم ورسائلهم وآرائهم ومُقترحاتهم على مدوناتهم أو صفحات شبكات التواصل الاجتماعي.

يتم ذكر مكتبة روسيا للنشء عدة مرات على الإنترنت في اليوم الواحد. البعض يُثني عليها والبعض يدعو أصدقاءه للذهاب للمكتبة معاً. يُمكن أن يُذهل أحدهم بمُدرّب في أحد الدورات سيحضر نفس المُحاضرة.

يمدنا تفاؤل وود وحماسة سلوك المُستخدمين بقدر كبير من التفاؤل نحن أيضاً. إن ذلك يعني أن النشء قد اختاروا المكتبة من بين الاختيارات الكثيرة والمفتوحة لهم من أجل المُتعة العقلية في روسيا.

ونحن على يقين من أن النشء الذين لا يذهبون إلى المكتبة اليوم لن يأخذوا أبناءهم غداً للمكتبة. إذن فما الذي سنؤول إليه المكتبة آنذاك؟